خطبة الجمعة: 20/01/2012م **الشيخ الطبيب محمد خير الشَّعَّال**

سلسلة قرأت في كتاب

(الدفاع عن الرعية)

الحمد لله، الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا و سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشدا، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله، وصفيه وخليله، خير نبي اجتباه، وهدى ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله ربنا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كره، اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى أله وصحبه وسلم.

أما بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى وأحثكم وإياي على طاعة الله، فنحن اليوم في دار ابتلاء فالسعيد من وعظ بغيره، والسعيد من ملأ حياته طاعة، وغير السعيد من ذهب اتجاه المعصية، أو انشغل عن الطاعات بالأهواء والملذات، إنه من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ،ثم أستفتح بالذي هو خير:

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴾ [الفرقان:35].**وقال سبحانه على لسان موسى:** ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا * وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا * إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴾ [طه:25-35]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِالأَمِيرِ خَيرًا جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ صِدْقٍ؛ إِنْ نَسِيَ ذَكَّرَهُ، وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهِ غَيْرَ ذَلِكَ جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ سُوءٍ؛ إِنْ نَسِيَ لَمْ يُذَكِّرْهُ، وَإِنْ ذَكَرَ لَمْ يُعِنْهُ)) [رواه أبو داود].

وفي رواية النسائي: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من ولِيَ منكم عملاً فأراد الله به خيراً جعل له وزيراً صالحاً؛ إنْ نَسيَ ذَكَّره، وإنْ ذَكَرَ أعانه)).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ وَلَا اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَةٍ إِلَّا كَانَتْ لَهُ بِطَانَتَانِ: بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، فَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللَّهُ تَعَالَى)) [رواه البخاري]

وفي رواية: ((ما مِن والٍ إلا وله بطانتان: بطانة تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر، وبطانة لا تألوه خبالاً، فمن وُقِيَ شرَّها فقد وُقِيَ، وهو من التي تغلب عليه منهما)) [رواه النسائي]

أيها الإخوة:

هذه هي الخطبة الحادية والعشرون في سلسلة: (قرأت في كتاب)، أختار لكم فيها فوائد منثورة، في كتب قرأتها أو بعضها؛ ليفيد المرء علماً وعملاً.

عنوان خطبة اليوم:

) الدفاع عن الرعية (

قرأت في كتاب للماوردي عنوانه: (**أدب الوزير**) كلماتٍ نافعات في دفاع الوزير عن الرعية، فأحببتُ أن أطلعكم عليها.

مؤلف الكتاب: أبو الحسن، علي بن محمد بن حبيب الماوردي، من وفيات سنة خمسين وأربعمائة للهجرة، وهو قاضٍ أديب لغوي فقيه، قريب من الخلفاء والملوك

والوزراء، اشتغل بالقضاء في البصرة وبغداد، ثم وصل إلى رتبة قاضي القضاة، له كتب شهيرة في السياسة الشرعية، من أبرزها كتاب (الأحكام السلطانية).

وكتابه الذي أقرأ لكم منه اليوم اسمه: (الوزارة) أو (أدب الوزير) ألَّفه ووجَّهَه إلى أحد الوزراء، وضمَّنه قوانين الوزارة وأنواعها وحقوقها وواجباتها، وختمه بوصايا للوزير.

وكان مما ذكره في واجبات الوزير: الدفاع عن الرعية، فقال:

(وواجبٌ عليه الدفاع عن الرعية من خوف وإخلال، فالخوف من نتائج الحيف، والإخلال من نتائج الإهمال، وكلاهما -أي الحيف والإهمال- من سوء السيرة.

وفسادُ السياسة بين إفراط وتفريط، وخروجهما عن العدل إلى تقصير أو إسراف.

وهم -أي الرعية- قوام الملك المستمَدّ، وذخره المستعِدّ، إن أُهملوا فَسدوا وأفسدوا، وإن حِيف عليهم هَلَكوا وأهلَكوا ، فلن يستقيم مُلكٌ فَسَدَت فيه أحوال الرعايا؛ لأنه منهم بمنزلة الرأس من الجسد، لا ينهض إلا بقوَّته، ولا يستقلُّ إلا بمعونته.

ولهم عليك ثلاثة حقوق:

أحدها: أن تعينهم على صلاح معايشهم ووفور مكاسبهم، لتتوفر بهم موادك، وتعمر بهم بلادك، وقد روى عطاء عن جابر -رضي الله عنه- **عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال**: ((**خير الناس أنفعهم للناس**))، وقال وهب بن منبه: (**إن أَحسَنَ الناس عيشاً من حَسُنَ عيشُ الناس في عيشه**).

حدّث التابعي الثقة قسامة بن زهير المازني البصري، قال: وقف أعرابي على عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- فقال:

يا عُمرَ الخيرِ: جُزيتَ الجَنّة جَهِّز بُنيَّاتي واكسُهُنَّه

أُقسِم بالله لتَفعَلَنَّه

قال عمر: فإن لم أفعل يكون ماذا يا أعرابي؟

قال: أُقسِم بالله لأمضينَّه.

قال: فإن مضيت يكون ماذا يا أعرابي؟

قال:

واللهِ عَن حالي لتُسأَلنَّه ثم تَكون المسألاتُ عنَّه

والواقِف المسؤولُ بينَهنَّه إمَّا إلى نارٍ وإمَّا جنَّه

قال: فبكى عمر حتى اخضلَّت لحيته بدموعه، ثم قال: يا غلام، أعطه قميصي هذا، لذلك اليوم، لا لشعرْه، والله ما أملك قميصاً غيره.

يقول الماوردي في أدب الوزير:

(لهم –أي الرعية في الدفاع عنهم– عليك ثلاثة حقوق:

أحدها: أن تعينهم على صلاح معايشهم، ووفور مكاسبهم، لتتوفر بهم موادك، وتعمر بهم بلادك.

والثاني: أن تقتصر منهم على حقوقك، وتحمِلهم فيها على إنصافك؛ ليكونوا على الاستكثار أَحرَص، وفي الطاعة أَخلَص.

وقد قيل: (من خاف إساءتك اعتقد مساءتك)، ولا تَكِلْهم في مقادير الحقوق إلى غيرك، فيكونوا له أرجا، وعليه أحنا، فقد قيل في سالف الحكم: إنما يَستخرِج ما عند الرعية ولاتها، وما عند الجند قادتها، وما في الدين والتأويل علماؤه.

والثالث: أن تحوطهم بكف الأذى عنهم، ومنع الأيدي الغالبة منهم، لتكون لهم كالأب الرؤوف، ويكونوا لك كالأولاد البررة، فإنك كافل مُستَرعى، ومسؤول مؤاخَذ، **وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم**: ((**كلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسؤول عن رعيَّته**)).

يقـول الماوردي: (وأنت -أيهـا الـوزير أمـدك الله بتوفيقـه- في منصـب مختلـف الأطراف، تـدَبِّر غـيرك من الرعايا وتَتدبَّر بغيرك من الملوك، فأنت سَائسٌ مَسُوْسٌ، فانتهز فرصة الإمكان، وخُذ من نفسك لنفسك، وتزوَّد من يومك لغَدِك...

واعلم أنك مُرصَدٌ لحوائج الناس؛ لأن بيدك أزِمَّة الأمور، وإليك غاية الطلب، فكن عليها صبوراً تكن بقضائها شكوراً، ولا تضجر على طالبها وقد أمَّلَك، ولا تنفر عليه إن راجعك، فما يجد الناس من سؤالك بداً، ولَخَيرُ دهرك أن تكون مرجوّاً.

أنشد ابن دريد:

لا تَـدخُلنَّك ضـجرةٌ من سـائل فلَخَـيرُ دهـرِك أنْ تُرَى مسؤولا

لا تَجْبَهَنّ بالردِّ وَجـــهَ مؤمِّـــل فبقـــاء عـــزِّك أن تُـــرى مَـــأمولا

واعلم بأنـك عن قليـلٍ صـائرٌ خَبَراً فكُن خَبَراً يـــــروقُ جميلا

وقد قيل في الصحف الأولى: (القلب الضيق لا تَحسُن به الرياسة، والرجل الأثيم لا يَحسُن له الغنى).

وقد جاء في الأثر: (ما عَظُمَت نعمةُ الله على عبد إلا عَظُمَت مَؤونة الناس عليه، فمَن لم يحتمل مؤونة الناس عرَّض تلك النعمة للزوال).

ختم الماوردي كتابه أدب الوزير بوصايا قدمها للوزراء، وكان في خواتيم هذه الوصايا قوله: احذر دعوة المظلوم وتوَقَّها، ورِقَّ لها إن واجَهَكَ بها، ولا تَبعثك العزة على البطش، فتزداد ببطشك ظلماً، وبعزتك بغياً، وحسبك بمنصورٍ عليك من كان الله ناصرُه منك، **وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم: ((واتّقِ دعوة المظلوم، فإنها ليس بينها وبين الله حجاب))** [البخاري ومسلم]، وفي رواية: **((اتقوا دعوة المظلوم، فإنها تُحمَل على الغمام، يقول الله: وعزتي وجلالي لأنصرنَّك ولو بعد حين))** [الطبراني].

وفي رواية: ((اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافراً، فإنه ليس دونه حجاب)) [أحمد]

أيها الإخوة:

هذا شيء مما قرأت في كتاب (أدب الوزير) عن الدفاع عن الرعية.

أخرج ابن مردويه عن عليّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((يقول الله عزَّ وجلَّ: وارتفاعي فوق عرشي، ما من أهل قرية ولا أهل بيت ولا رجلٍ ببادية كانوا على ما كرهتُ من معصيتي ثمَّ تحولوا عنها إلى ما أحببتُ من طاعتي إلا تحولتُ لهم عمَّا يكرهون من عذابي إلى ما يحبون من رحمتي.

وما من أهل قريةٍ ولا أهل بيتٍ ولا رجلٍ ببادية كانوا على ما أحببتُ من طاعتي ثمَّ تحولوا عنها إلى ما كرهتُ من معصيتي إلا تحولتُ لهم عمَّا يحبون من رحمتي إلى ما يكرهون من غضبي)).

والحمد لله رب العالمين